الأزهر جريح فادركوه

إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير

للأستاذ محمود النواوى

حقا والله لقد هان على الأمس ما لاقي الدير . ولكن ... ولكن كان الظن أن دير الأزهر دير للشرق كله . وأن علته علة للاسلام على بكرة أبيه . وأنه إذا اشتكى تداعى له سائر المسلمين بالسهر والحمى ، ذلك أن الأزهر صاحب الفضل الأكبر ؛ والمحل الذى لا يجهل، فمن المكرر أن نقول إن العالم كله مدين فى مدنيته وتثقيفه للاسلام . وإن الإسلام مدين فى نشر ثقافته فى أرجاء الأرض للأزهر منذ ألف سنة أو تزيد

ومن المكرر أن نقول إن الأزهر ثبت ثبات الطود الشامخ هذه المدة يعلم ويخرج ويبث وينشر ويذيع من معارف الإسلام واللغة العربية والفلسفة الإسلامية وغير الإسلامية وشتى صنوف المعارف البشرية ما طوق أعناق الخليقة ؛ لا يبالى ما يصيب العلم أحيانا من عسف واضطهاد، بل يخرج من كل عارض خروج البدر من تحت غيمه ، والشمس من بين الضباب . لقد فزع العلم والعلماء أيام التتار فى سائر الأقطار وروعوا حتى كان بعض الجبارين يتخذ من رؤوسهم قلاعا إلا من أوى إلى مصر كنانة الله فى أرضه، وإلى الأزهر كنانة الله فى مصره. لقد حفظه الله من كل يد ظالمة فلا تصل إليه ، وقال يا نار كونى برداً وسلاما عليه يوم طورد العلم والأدب فى الشرق أيام التتار ، وفى الغرب أيام طورد العلماء والأدباء فى بلاد الأندلس. ثم كانت يده الطولى التى سجل الله له يوم حكم العثمانيون مصر نفس محاولوا القضاء على العلم والأدب بما شغل الناس فى عسفهم واستبدادهم ومحاولتهم تأخير البلاد فى جميع نواحيها حتى كانوا ينقلون إلى بلادهم كل نفيس كريم وكل شخص عظيم . ولكن الأزهر يومها كان كعبة القصاد ومؤئل الرواد ملحوظا بعناية الله تؤمنه المخاوف ، ومصنوعا على عين الله تنجيه من التالف ، حتى كان عهد الأسرة العلوية الكريمة فكان ما حفظ التاريخ للأزهر من أنه نواة الثقافة فى جميع نواحيها . والذى اعتمد عليه جد هذه الأسرة العظيمة محمد على باشا فكون البعوث وأنشأ المدارس وبث العلم والمدنية من جميع نواحيها وأحيائها . ذلك قول معاد مكرر ؛ ولكنها الذكرى العطرة تثيرها مثيراتها وتجددها مجدداتها

أعزز على بأن أراك يا معقل العلم والثقافة ويا منبع المدنية طريحا مجندلا تحت احتكام الأهواء . واختلاف النزعات والآراء، وأنت أسوأ حالا مما قيل فيه :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

أعزز على بأن أرى أعداء الدين وخصوم الإسلام من المستعمرين الذين ما فتئوا يحاربونك بكل وسيلة فى السر والعلن لأنه لا طيب لحياتهم وأنت فى مصر تبث تعاليم الإسلام وكلها حرية وإباء، وعزيمة ومضاء، وجهاد للأعداء، وقوة وفتاء، يأبى القليل منها أن يمكن لجبار فى الأرض أو يفتح لمستعمر قيد فتر . فالآن إذ أرى هؤلاء يشمتون ويفرحون ويرتقبون ما كانوا يأملون بأيدينا لا بأيديهم . لقد أفلحت سياستهم بعد أن مكنوا لمدنية ، الخلاعة والدعارة والخنوثة وفككوا قيود الدين حتى هان فهاق ممه منبعه ومستقاه وهو الأزهر الكريم

لقد جاء الوقت الذى تغلق فيه أبواب الأزهر باليوم واليومين والأسبوع والأسبوعين والشهر والشهرين فما يحس أحد ولا يحرك ساكنا

إن أخوف ما أخاف أن تكون فتنة محبوكة ومؤامرة مقصودة يراد بها هدم الدين ونقض دعائم المسلمين فتتفرق كلمتهم وتتمكن الأيدى الناصبة منهم فى جو صفاء كما ضاعت خلافة الإسلام من قبل فكانت مبدأ ضعف فى الجملة. وإذن يضحى الشرق والمسلمون بأشحط عنوان السجود به، ويفقدوا حماة السلام وعنوان الوئام ، ومبلغ رسالات الله إلى جميع الأنام ، ويهون الشرق والمسلمون على الله فما يبالى فى أى واد أهلكهم